بيغن مع وايزمن يرقبان ايتان : وجهان لعملة واحدة

"رفول" يرنو لتوسع جديد!

ودّع مردخاي غور رئاسة اركان جيش العدو وهو مغتبط باحتلال جنوب لبنان واستلم رفائيل ايتان ـ وهو يطمح لكسب آخر !؟

استلم اللواء رفائيل ايتان منصب رئاسة هيئة اركان جيش العدو في الساعة التاسعة من صباح يوم الاحد ١٦ ـ ٤ الماضي ، بعد شهرين ونصف من قرار حكومة بيغن تعيينه في هذا المنصب الذي يتوافق مع احالة رئيس هيئة الاركان السابق مردخاي غور على التقاعد ، وفور تسلم رفائيل ايتان ـ الذي يدعى تحببا رفول ـ لراية هيئة الاركان من بيغن ليصبح رئيس الاركان الحادي عشر للعدو ، تعهد بأن تبقى القدس عاصمة « اسرائيل » الى الابد !

تم الاحتفال بتنصيب ايتان وترقيته الى رتبة جنرال في مكتب رئيس الوزراء مناحيم بيغن واشترك فيه عازر وايزمان وزير الدفاع وغور ولفيف من كبار ضباط ومسؤولي العدو ، ووصف مراسل راديو العدو الاحتفال بان ايتان كان ينتظر محاطا بافراد عائلته في غرفة محاذية لمكتب بيغن ، وبينما كانت الساعة تقترب من التاسعة اخذت قاعة الاحتفال تغص بالحاضرين ، من ضباط الجيش ووزراء الحكومة ورؤساء الاركان السابقين والمفتش العام للشرطة ، ثم وصل وايزمن الذي دخل على ايتان وقال له مازحا « رفائيل استبدل قميصك ، فسيصورونك ويرونك في جميع انحاء العالم » ، حيث كان ايتان يرتدي قميصا عسكريا عاديا يدلل على عسكريته البحتة التي لا تهتم بالمظهر ، وهذا ما يعرف عن ايتان وعن عدم حبه للظهور وللصحافة والمصورين، وعندما بدأ الاحتفال ودع بيغن غور وامتدحه لخدمته كمقاتل ذاكرا قيادته لواء المظليين الذي « حرر » القدس الشرقية عام ١٩٦٧ .

وقال بيغن « كلنا نريد السلام ، ونأمل الا تنشب حروب اخرى . ولكن على اعدائنا ان يعلموا وهذا حق رئيس الاركان الذاهب اللواء غور ، انهم اذا حاولوا اية مرة مهاجمة شعبنا فسيواجهون جيشا ينتصر عليهم » . واجاب غور على كلمة بيغن بانه « يرى ان اكبر مكسب في هذه الفترة هو تعاظم قوتنا كما ونوعا ، الامر المعروف لجيراننا وللعالم باسره » . وسلم غور راية الاركان لبيغن وقبل ان يسلمها الى ايتان قام بالمشاركة مع وايزمان بترفيع رتبته الى جنرال وامتدحه قائلا « اننا نسلمك قيادة جيشنا العظيم ، واسمك معروف لكل شخص في اسرائيل وكذلك فان اعدائنا يعرفونك ، وهكذا فانهم يعلمون ان جيش اسرائيل تقود ماليوم ايد واثقة ومخلصة » . ثم سلمه الراية .

غور الذاهب

تولى مردخاي غور رئاسة الاركان بعد حرب تشرين ١٩٧٣ في نيسان ١٩٧٤ ، وجاء على اثر الفضائح الكبيرة في جيش العدو والتعديلات التي نفذت بعد تحقيقات واسعة . واستطاع بعد توليه المنصب انهاء حرب الجنرالات التي اعقبت حرب ٧٣ والتي نشأت بسبب تبادل الاتهامات وذلك عن طريق ابعادهم جميعا عن الجيش وشؤونه .

وخدم غور في منصبه تحت امرة ثلاثة وزراء دفاع هم دايان ، بيريز ، ووايزمان . ويعتبر غور من الصقور في سياسة العدو ، ولعل تشكيكه بجدية السادات في القدوم الى الكيان الصهيوني وتحذيره من حرب تشنها مصر في نفس الفترة دليل على ذلك . ويشاع حاليا عنه بانه سيتجه للعمل السياسي ، وهو يشكك في امكانية التوصل الى سلام مع العرب .

لقد حاولت الاوساط الاعلامية الصهيونية ، وانجرفت ورائها بعض وكالات الانباء والمصادر الاجنبية ، تصوير غور بانه رئيس الاركان الذي انهى مدة خدمته التي زادت لمدة سنة عن المدة الاعتيادية لاي رئيس اركان للعدو ـ المدة الاعتيادية ثلاث سنوات ـ بانه انهاها بدون حرب ، وهم يحاولون في ذلك التغطية على الحرب التي توج فيها غور مدة خدمته بالعدوان وفي اواخر ايامه ـ على جنوب لبنان وحربه ضد المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية فيها . هذه الحرب التي اعتبرها الكثير من المراقبين المنصفين فشلا عسكريا لغور ـ بالاضافة الى الفشل السياسي لحكومة بيغن فيها ـ على الرغم من احتلاله للجنوب ومداعبة حلم الصهيونية القديم في التوسع شمالا حتى نهر الليطاني ومصادره . لقد توج غور فعلا سنوات رئاسته بهذه الحرب العدوانية التي كلفته الكثير على الرغم من محاولة العدو تغطية فشله بكيل المديح له ، هذا عدا فشله المستمر في حربه ضد الثورة والمقاومة التي استنزفت الكثير من طاقات العدو المادية والنفسية في عملياتها البطولية المستمرة طيلة ايام خدمته كرئيس اركان . وفي الوقت الذي يتجه فيه غور بان عام ١٩٧٦ الذي امضاه رئيسا للاركان لم يسقط اي جندي صهيوني على الجبهات مع الجيوش العربية ، كان جنود العدو يتساقطون كل يوم داخل الارض المحتلة بيد ثوار المقاومة الفلسطينية وبيد جماهيرنا في انتفاضاتها العارمة .

لقد وعد غور قبل انتهاء مدته بانه سيكتب كتابا عن يوميات خدمته ، ولعل من الموضوعية ـ التي يدعي العسكريون دائما التحلي بها ـ ان لا ينسى هزائمه اليومية على يد الثوار ، وان لا ينسى هزيمته الكبيرة التي ختم فيها مدة خدمته كرئيس اركان في حرب جنوب لبنان الاخيرة .

ولكن غور يبشرنا منذ الان بعدم موضوعيته ، ففي احتفال تنصيب خلفه قال « انني سعيد لان هذه الاعوام الاربعة كانت من دون حرب » . ولكننا لن نفاجأ عندما سنجد غور وهو يعتلي درجات السلم السياسي في الايام القادمة على شاكلة جنرالات العدو بانه سيتبجح بانه انتصر في عدة حروب وسيفاخر سابقيه ولاحقيه من رؤساء جيش العدو بانه وسع « دولة اسرائيل » باحتلال جنوب لبنان وتحقيق حلم الصهيونية بالوصول الى الليطاني .

وفي اخر ايامه ، وجه غور نصائح وتحذيرات ، لمسؤولي الجيش الصهيوني من بعده ، بان ينتبهوا الى ان قوة الدول العربية في المشرق (سوريا والعراق والاردن) اصبحت ضعف قوة مصر ، مما يستدعي حسابها بدقة ، وتوجيه ضربة لتدميرها ان امكن ، كما يعني ذلك ان ينتبه السياسيون الى ان التسوية مع مصر ليست بالكافية حاليا . وحبذ اقامة قاعدة عسكرية جوية امريكية في سيناء لكي تكون فاصلا حقيقيا بين « اسرائيل » ومصر . ونصح ايضا بان تتخلى « اسرائيل » عن حصتها في الصفقة الامريكية الموحدة لبيع الطائرات لكي لا تسمح للسعودية ومصر بالحصول على الطائرات الامريكية .

اما بالنسبة لجنوب لبنان ، فقد اعترف غور مضطرا الى ان الاهمال والتسيب انتشر في جيش العدو بدليل سقوط ضحايا كثيرين منه في حقول الالغام واهمالهم في الانضباط ونهبهم لبيوت سكان الجنوب ، وهو بذلك يعترف بتدني الروح المعنوية لجنوده والتفسخ والفساد في جيشه . واضاف بانه يشك في قدرة الامم المتحدة على منع الفدائيين من التواجد في الجنوب اذا لم تتوصل الى اتفاق سياسي مع الحكومة اللبنانية وقوة الردع العربية لضمان ذلك . ولعل اهم اكذوبة ختم فيها غور حياته العسكرية بانه اعطى امرا بتخفيف الاصابات بين المدنيين وان ذلك حصل في صورة عامة ، اي قلة الاصابات بين المدنيين . ان هذه الاكذوبة تتوضح على لسان غور نفسه اذ اعترف في نفس التصريح بان جيشه استخدم القنابل الانشطارية التي تؤثر في المدنيين اساسا ، والتوضيح الثاني يأتي على لسان جميع وكالات الانباء والمراسلين الذين رافقوا حرب الجنوب ونقلوا كيف يبيد جيش العدو القرى والبيوت والمزارع ويذبح المدنيين .

ايتان القادم

يقال ان رفائيل ايتان توفرت فيه جميع الشروط التي توضع في جيش العدو لطبيعة رئيس الاركان ، وهي :

١ ـ الفهم الاستراتيجي السياسي .

٢ ـ القدرة على تشغيل القوات اثناء الحرب .

٣ ـ القدرة على التخطيط ، وبناء الجيش ، وترشيد الموارد المتاحة .

٤ ـ القدرة على توفير الاتصال والفهم بين الحكومة ورئاسة الاركان .

٥ ـ القدرة على التوجه وقت الحاجة الى السكان ومحادثتهم باسم الجيش .

لقد قاتل ايتان على جميع الجبهات وفي مختلف الحروب التي خاضها العدو . وقال عنه وايزمان « ان كل المرشحين لرئاسة الاركان ذوي كفاءة عالية ولكن في ايتان شيك ما اكثر » ، ولعله يقصد كونه صقرا عدوانيا معتدا ومتغطرسا بقوة جيشه واستطاعته فرض القوة على الغير .

ايتان ، كان في حرب ١٩٤٨ نائب قائد سرية في لواء « هرئيل » ، واشترك في العمليات الانتقامية في الخمسينات ، وهبط مع المظليين لاحتلال ممر متلا في سيناء اثناء العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ ، وفي حرب حزيران ١٩٦٧ قاد لواء المظلات الذي احتل رفح وساحلها في سيناء ، ووصل حتى ضفة قناة السويس حيث جرح هناك . وفي حرب الاستنزاف مع مصر ٦٩ ـ ١٩٧٠ واثناء عمليات المقاومة الفلسطينية على جبهة الاردن كان قائدا للجبهة مع الاردن في منطقة الغور ، وتولى عمليات ضرب الفدائيين ـ وقاد الغارة الشهيرة على مطار بيروت حيث دمر ١٢ طائرة مدنية قابعة في المطار . وفي حرب تشرين ١٩٧٣ كان قائد فرقة في مرتفعات الجولان على الجبهة السورية ، وفي اعقاب الحرب اصبح قائدا للجبهة الشمالية . ان تاريخه العسكري هذا جعله في نظر المراقبين العسكريين ذو تجربة قتالية وميدانية .

وايتان هذا ولد في كانون الثاني ١٩٢٩ ، في تل عدس بفلسطين ، وكان ابوه من اوائل اعضاء منظمة « هاشومير » الصهيونية الارهابية ، وانضم ايتان منذ سن السابعة عشرة الى منظمة « البالماخ » الارهابية .

وعند اعلان حكومة بيغن تعيين ايتان في منصب رئيس الاركان منذ شهرين ونصف قالت صحيفة « معاريف » الصهيونية : « لا يمكننا حتى الان ، الجزم بان تعيين ايتان يشير الى خوف من نشوب حرب ، ويبدو ان الاعتبارات التي ادت الى تعيينه كانت إعتبارات شخصية ، وتركزت على مواصفات المرشحين ، ولكن لا يمكننا استبعاد احتمال ان يكون المقصود من اختيار ايتان هو تقوية المستويات القتالية في الجيش » .

وعن افكار ايتان السياسية ، يمكن القول انه لا يعتبر من المعتدلين بل من الصقور المتصلبين في كل ما يتعلق بالاستيطان والتوسع واغتصاب الاراضي ، ومن المؤمنين « بارض اسرائيل الكبرى» وصهيوني متطرف ، ومعارض لاي حقوق للعرب في فلسطين . والخطر الحقيقي على مستقبل « اسرائيل » ليس هو الحرب بل التغلغل العربي في « دولة اسرائيل » !

ومن المعروف ان غور رجل برغماتي يقدس العمل ويحتقر تماما الكلام والتصريحات ، ولذا فهو على عداء كامل مع الصحفيين ، فعندما اعلن تعيينه اقامت نقابة الصحفيين الصهاينة لجنة لرعاية علاقة الصحافة بالجيش . وفي حفل تنصيبه تكلم لمدة ١٥ ثانية ثم ادى التحية وقال « علي مباشرة عملي الان » .

وقال ايتان في كلمته التي تدلل على طابعه العدواني : « اننا لا نزال بعيدين عن السلام والامن . ولا تزال اختيارات صعبة وربما مصيرية تنتظر دولة اسرائيل في ارض اسرائيل » . وقد ذكر هذه العبارات في الوقت الذي شدد فيه بيغن وغور ووايزمان على احتمالات السلام وعلى التمنيات بان عهده سيكون خاليا من الحروب .

ومن الواضح ان « رفول » الذي يستلم قيادة جيش العدو في وقت تتدنى فيه معنويات الجنود اثر حربه في جنوب لبنان الصامد ، وقد كان هذا واضحا اثناء الحرب باعتراف جميع المراسلين والمراقبين ، وفي وقت ينخره الفساد والرشوة والسرقة والتهرب من الخدمة ، وارتفاع الصراع بوجوب تقديم التنازلات للعرب تخلصا من الحروب وسقوط المزيد من الضحايا . وكما وصفت ذلك وكالة « رويتر » في تحليلها بانه تدني كبير في الانضباط لعدم الشعور بالارتياح في صفوف عناصر جيش العدو لحربهم في جنوب لبنان التي كلفتهم الكثير من الخسائر والضحايا ، والى شكوك الجنود حول اصرار بيغن على عدم تقديم تنازلات حقيقية من اجل السلام .

ان هذا الوضع في جيش العدو سيواجه ايتان المشهور باهتمامه بالانضباط العالي ، وسيواجه غطرسته وتبجحه الكريه ، وهذا ما يجعلنا نشك في امكانية نجاحه في قيادة جيشه العدواني .

ومن ناحية اخرى فان شخصية رفائيل ايتان ونفسيته وافكاره ، بدليل كلمته عند تنصيبه ، واصراره على وجود التحديات وضرورة العدوان ، توضح انه يسعى منذ الان الى خوض حرب جديدة عسى ان يستطيع الحصول على نصر يضيفه الى اسمه ، او يستطيع ان يسجل نفسه كقائد صهيوني تمكن من ضم اراض جديدة من الارض العربية الى الدولة الصهيونية ، الساعية ابدا لتحقيق اسطورة « اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات » ... والايام القادمة من قيادة ايتان لجيش العدو ستحمل الكثير من المفاجئات والتأكيدات عن التوقعات المحسوبة .